335 - ـ فصل : ليس المراد من العلم فهم الألفاظ .

رأيت أكثر العلماء مشتغلين بصورة العلم دون فهم حقيقته و مقصوده .

فالقارىء مشغول بالروايات عاكف على الشواذ يرى أن المقصود نفس التلاوة و لا يتلمح عظمة المتكلم و لا زجر القرآن و وعده .

و ربما ظن أن حفظ القرآن يدفع عنه فتراه يترخص فبالذنوب و لو فهم لعلم أن الحجة عليه أقوى ممن لم يقرأ .

و المحدث يجمع الطرق و يحفظ الأسانيد و لا يتأمل مقصود المنقول و يرى أنه قد حفظ على الناس الأحاديث فهو يرجوا بذلك السلامة .

و ربما ترخص في الخطايا ظنا منه أن ما فعل في الشريعة يدفع عنه .

الفقيه قد وقع له أنه بما قد عرف من الجدال الذي يقوي به خصامه و المسائل التي قد عرف فيها المذهب قد حصل بما يفتي به الناس ما يرفع قدره و يمحو ذنبه .

ربما هجم على الخطايا ظنا منه أن ذلك يدفع عنه .

و ربما لم يحفظ القرآن و لم يعرف الحديث و أنهما ينهيان عن الفواحش بزجر و رفق .

و ينضاف إليه مع الجهل بهما حب الرياسة و إيثار الغلبة في الجدل فتزيد قسوة قلبه .

و على هذا أكثر الناس صور العلم عندهم صناعة فهي تكسبهم الكبر و الحماقة .

و قد حكى بعض المعتبرين عن شيخ أفنى عمره في علوم كثيرة أنه فتن في آخر عمره بفسق أصر عليه و بارز ا به .

و كانت حالة تعطي بمضمونها أن علمي يدفع عني شر ما أنا فيه و لا يبقى له اثر .

و كان كأنه قد قطع لنفسه بالنجاة فلا يرى عنده أثر لخوف و لا ندم على ذنب .

قال : فتغير في آخر عمره و لازمه الفقر فكان يلقي الشدائد و لا ينتهي عن قبح حاله .

إلى أن جمعت له يوما قراريط على وجه الكدية فاستحى من ذلك و قال : يارب إلى هذا الحد ؟ .

قال الحاكي : فتعجبت من غفلته كيف نسي ا D و أراد منه حسن التدبير له و الصيانة و سعة الرزق و كأنه ما سمع قوله تعالى : { و ألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا } و لا علم أن المعاصي تسد أبواب الرزق و أن من ضيع أمر ا ضيعه ا .

فلما رأيت علما ما أفاد كعلم هذا لأن العالم إذا زل انكسر و هذا مصر لا تؤلمه معصيته و كأن يجوز له ما يفعل أو كأن له التصرف في الدين تحليلا و تحريما .

فمرض عاجلا و مات على أقبح حال .

قال الحاكي : و رأيت شيخا آخر حصل صور علم فما أفادته .

كان أي فسق أمكنه لم يتحاش منه و أي أمر لم يعجبه من القدر عارضه بالاعتراض على المقدر و اللوم .

فعاش أكدر عيش و على أقبح اعتقاد حتى درج .

و هؤلاء لم يفهموا معنى العلم و ليس العلم صور الألفاظ إنما المقصود فهم المراد منه و ذاك يورث الخشية و الخوف و يرى المنة للمنعم بالعلم و قوة الحجة له على المتعلم .

نسأل ا D يقظة تفهمنا المقصود و تعرفنا المعبود .

و نعوذ با من سبيل رعاع يتسمون بالعلماء لا ينهاهم ما يحملون و يعلمون و لا يعلمون و يتكبرون على الناس بما لا يعلمون .

و يأخذون عرض الأدنى و قد نهوا عما يأخذون .

غلبتهم طباعهم و ما راضتهم علومهم التي يدرسون .

فهم أحسن حالا من العوام الذين يجهلون { يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون }